العدد (2231) السنة التاسعة - الاربعاء (24) آب 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الصالات تستقبل الرجال فقط

سينمائيون : دور العرض المتبقية تغامر.. وجهات متطرفة تريد الغائها

كانت "ثرثرة" وليد حول "السينمات" وتاريخه معها والخروج مع الأصدقاء قد "أوجعت" رأس أطفاله الثلاثة وأمهم ، لأنه يعيد كل يوم الكلام حول هذا الموضوع ، حتى أحرجه في يوم من الأيام احد أطفاله وأصر على الذهاب إلى إحدى دور العرض ! الذي كان مقتنعا بعدم وجود واحدة في بغداد لا تزال تعمل إلى اليوم !

هذا هو الجواب الذي يحصل دائما حين تسأل عن "السينما" ، لكنه في الواقع ليس صحيحا. هناك دور السينما ، ولكنها ليست ذلك النوع من الأماكن التي تسمح بان تأخذ عائلتك إليها" إذا كنتم تعرفون ما أعنيه"! ذهبنا نحن "مجموعة أصدقاء" لنرى بأنفسنا السينمات المغلقة بزوج من المصاريع الصلبة ، وراءها نسمع رنة مطرقة "الحداد" في أزقة تغطيها الأوساخ ومخلفات الحديد. صاح بنا رجل قصير وبدين مع شعر رمادي وشارب كثيف يجلس على كرسي خارج سينما "....." ، ويلعب بسلسلة من الخرز التي تستخدم بالصلاة ،وخلف رأسه بقايا ملصقات فيلم ، بعض حركات "الكونغ فو" ، وملصق لفيلم هوليوود من بطولة ديمي مور.

وائل نعمة

قدم نفسه باسم أبو أحمد. وأشار لنا بان نذهب الى الداخل ونتحدث عن اي شيء نريد معرفته، مصرا على انه لا يعرض أفلاما إباحية تحت أي ظرف من الظروف.

قادنا من خلال الممر الذي نفثت منه رائحة كريهة بسبب "التبول"، كانت أبواب القاعة لا تزال مفتوحة،و كان هناك حوالي ٢٠ رجلا في قاعة تضم ٤٠٠ مقعد، تعلوهم سحابة من دخان السجائر ، وعلى الرغم من ان جدران الصالة كانت متهالكة ، إلا أنها غطيت بستارة حمراء لتعطي جوا مختلفا . وكان من المستحيل معرفة أي نوع من الأفلام كانت تعرض ولكن رد فعل الجمهور كان يقول "إن على الشاشة علامات "الفن" الأبيض الممتلئ" !! عندما انتقدنا الوضع ، قال الرجل الذي يقطع "التذاكر" الرجاء مغادرة المكان ، أو أننا سوف نفقد جميع زبائننا".

في جمعة مختلفة

بينما كان "هيثم" غير مقتنع بكلامنا و قرر أن يكون يوم الجمعة مختلفا هذا الاسبوع، لن يقضيه بين صراخ الاطفال والحديث مع زوجته عن صديقاتها وجيرانها، فكر مليا وعزم على الذهاب الى السينما، بعد خصام طال لسنوات غذته مشاكل الحياة وانشغالات العمل.

السعدون وشارعه الطويل وما قبله الباب الشرقي ارتبط بذهن "هيثم" كما ارتبط بأذهان عاشقي السينما بكثرة دورها ، وفي رحلة البحث عن السينما تضايق "هيثم" من الازدحامات التي تعيق السابلة و السيارات على حد سواء في الباب الشرقي، ولم يفكر أن يمر وراء الجدران الكونكريتية وبين البسطيات العشوائية ليبحث عن سينما غرناطة او النجاح او الحمراء، فدفعته قدماه الى السعدون ليجد سينما السندباد وقد تحولت الى محال لبيع قطع الألمنيوم، وسينما النجوم إلى شركة تركية لبيع قطع الألمنيوم أيضا "!لم يفهم ما علاقة السينما بالألمنيوم!

لم يعد في شارع السعدون المكتظ في سبعينيات القرن الماضي بدور العرض غير سمير اميس و أطلس، ما زالتا تصارعان الاندثار و التحول الى مخزن للألمنيوم، في حين كان عدد دور العرض السينمائي في البلاد عام ١٩٦٤ كما ذكرها جورج سادول في كتابه (تأريخ السينما في العالم) هو (٨٦) دار عرض واستعرض مهدي عباس في كتابه (كتابات في السينما العراقية) عن تناقص هذا العدد عام ١٩٩٤ إلى (٧٠) دار عرض وقد وضع مقارنة بين الفترتين وعدد الدور فكان نصيب كل ربع مليون عراقي دار عرض واحدة.

ذلك كان يوم الجمعة، وخارج سينما أطلس في شارع السعدون. فمن عادة الناس في مثل هذا اليوم أن يقضونه مع العائلة أو الذهاب إلى المسجد ، ولكن "هيثم" وغيره من الرجال "فقط" قرروا اختيار مكان بديل للاجتماع مع أصدقائهم بالذهاب الى السينما.

ملصق الفيلم على "الفاترينا" كانت مناظره خلابة ، رسم بألوان زاهية ، فإنه يعلن عن فيلم ايطالي في السبعينيات. وعلقت صور أخرى ثابتة من الفيلم على لوحات في الردهة الداخلية للسينما ، وكانت تظهر منها أجزاء من جسد امرأة ايطالية ،بدا من الواضح وحسب تعليقات "المتفرجين" أن الفيلم يمكن أن يسميه البعض بـ"فيلم مثير".

تغييرات ما بعد ٢٠٠٣

بعد أحداث ٢٠٠٣ امتلأت معظم سينمات العاصمة بأفلام لم يكن من المعقول عرضها في فترة حكم "صدام" ، وكان الخيار الوحيد هو الفيلم "التركي" ذو الألوان الفاتحة ،وعلى الرغم من أن هذه الأفلام في معظمها قديمة جدا بالمقارنة مع ما يتم عرضه في دول الجوار الا انها كانت تجتذب عددا من المشاهدين.

احد العاملين في سينما النجاح يؤكد ان "صدام كان يتحكم في عرض جميع الأفلام عن وزارة الإعلام ، وأما الان وبغياب الوزارة فقد خلقت وضعا فضفاضا" ، و"محمد" الذي يعمل في السينمات منذ أكثر من ثلاثين عاما يقول "يمكن أن يظهر اي نوع من الأفلام الآن ، وإن كان هناك بعض من الأفلام الرومانسية التي قد أظهرت بعض الأجزاء "الممنوعة" ، ولكن الآن يمكن ان ترى الصفقة برمتها" .

ويعترف "محمد" بأنه لا يحب ان يرى "أفلام" اليوم، المعروضة في السينمات على الرغم من عمله فيها ،وهو لا يزال يحتفظ بتذكرة من رحلة إلى سينما سندباد في عام ١٩٦٨ في محفظته. ويضيف "اشعر بالاشمئزاز من ما هو معروض في الوقت الحاضر، إن نوعية وروح الأفلام التي اعتدت عليها مفقودة الان ، ولا استطيع مشاهدة هذه الأفلام ،وجيلي لن يقبل هذا".لافتا الى ان "الأفلام المثيرة" هي النوع الوحيد الذي من شأنه أن يجعل المال في سينمات بغداد في الوقت الراهن.

قاعات العرض للرجال فقط !

سينما "سمير أميس" هي واحدة من أفضل دور السينما في بغداد ، وأنها أظهرت على شاشتها أفلام الأسرة ، ولكنها الان لم تعد تحصل على المال ،لان الأسر لا تأتي إلى السينما ، بل الرجال فقط".

يقول احد الواقفين أمام السينما على الرغم من أن الصور التي تعلق وراء "زجاج" العرض الخاص بالسينما تصطف فيها نساء شبه عاريات لأفلام تركية وايطالية لجذب جماهير تواقة ، الا انها لا تزال سينما الأسرة ، وتضع السينما الصور فقط للحصول على الجمهور ودفعهم الى المجيء ، مؤكدا انه يتم قطع كل "اللقطات" . وتركنا وادار ظهره لنا ودخل إلى السينما .

"إن أعمال السينما في بغداد والعراق قد ذهبت مع الريح" ، وذلك باستخدام التعبير المستمد من الفيلم الكلاسيكي عام ١٩٣٩ لكلارك غيبل.

معظم العاملين في مجال "السينما" يشيرون الى ان المشاكل بدأت في هذا المجال في منتصف عام ١٩٩٠ ، عندما غمرت الأفلام المقرصنة العراق وانخفض بشكل حاد جمهور السينما .

يشير كريم حامد (٤٠) عاما وعاطل عن العمل ،وأحد عشاق "السينما" الى ان بعد الإطاحة بصدام حسين تحولت معظم دور السينما الى عرض الصور الإباحية ، مشددا على ان بعض السينمات ومنها سمير اميس هي المكان الوحيد اللائق الذي لا يزال يعمل في بغداد" . منتقدا في الوقت نفسه ذائقة الجمهور وأنهم تركوا الأفلام ذات الطعم الحقيقي واتجهوا الى اهتمام اخر اصبح همهم الرئيس وهو الجنس.

ويعتقد كريم أن الحضور الأقصى في قاعات السينما لا يصل الى الخمسين شخصا ،والكثير منهم لا يأتون لمشاهدة الفيلم ولكن لقضاء عدة ساعات في قاعة مكيفة بالهواء والبعض منهم يأخذ قيلولة.

وكان هادي قبل دفع ٥ آلاف دينار لدخول احدى السينمات، متوتراً من حرارة شقته ، التي انقطعت عنها كهرباء "المولدة" ، كما انه يهرب من "صداع" المولدات الخاصة التي ارتفعت أصواتها في قلب "البناية" ليتمتع بـ"ظهيرة" مريحة في السينما.

بروتوكول السينما غائب.. والجمهور غير مهيّأ بعد

حول وضع دور "السينما" يشير مدير دائرة السينما والمسرح شفيق المهدي الى ان المشكلة ليست في أبنية دور العرض فقط بل في إمكانية وصول العوائل الى السينما، ويوضح في حديثه لـ"المدى": في حالة توفر عرض سينمائي فأن الجمهور لن يكون مهيئا له، لان العروض دائما ترتبط بالمساء والعوائل لا تستطيع أن تأتي في ذلك الوقت ،وان وصلت فإنها تفكر في طريقة رجوعها.

أما الأبنية فلا نعرف من المسؤول عن تحويلها الى مخازن وورش نجارة!.

وعن بقاء بعض دور السينما مفتوحة إلى الآن بيّن المهدي"سميرأميس" تغامر بأموالها في استمرارها بالعمل، فهي تشتري افلاماً بأسعار مرتفعة وتدفع نفقات المولدة والعمال، وبالمقابل، الحضور يقتصر على أربعين شخصا، لذلك لجأت الى ان تضيف الاحتفاليات والمؤتمرات على منصتها لكي تحافظ على وجودها".

في حين يجد الممثل طه سالم أن سبب تدهور حالة دور العرض السينمائي يعود الى وجود تيارات دينية متطرفة أخذت على عاتقها تهديمها بكل الوسائل.

ويشير إلى ان "الإصرار على إبعاد الشباب عن الموسيقى والفن سيؤدي الى نتائج عكسية لا يحمد عقباها"، ويعتقد ان الحروب العبثية التي مر بها العراق في الزمن السابق وما آلت إليه الأمور بعد ذلك أدت الى تقليص دور العرض السينمائي.

المواطنون من جانبهم انقسموا الى فريقين، الأول مؤيد ويدعو الى ضرورة الاهتمام بدور العرض وبمستوى الأفلام التي تقدم، وآخر غير مهتم لأسباب تتعلق بصعوبة الوضع الاقتصادي والفضائيات والانترنت التي ملأت الفراغ الذي خلفه اختفاء دور العرض، فيما دعا آخرون الى ان يأخذ الاستثمار دوره في انشاء دور عرض على طراز دور العرض العالمية التي تقدم أرقى واحدث الأفلام.

ومع انتشار الصحون اللاقطة (الستلايت) وأجهزة العرض المتطورة على نطاق واسع في العاصمة، ومع وجود أسواق رائجة لأحدث الأفلام العربية والأجنبية على أقراص مضغوطة وبأسعار زهيدة، من يفكر يا ترى بالدخول إلى دور السينما؟ الجواب يجده من يقوم بجولة على دور العرض في بغداد، والتي كانت حتى وقت قريب تتجاوز الأربعين دارا، ولكن الشغال منها في الوقت الراهن لا يتجاوز الخمس دور موزعة على أماكن متقاربة في قلب العاصمة بغداد، حيث المركز التجاري والترفيهي التقليدي.

ويبدو أن تحسن الأوضاع الأمنية داخل العاصمة بغداد قد يجعل من موضوعة بث الحياة من جديد بدور العرض العريقة في بغداد مطلباً ثقافيا حيوياً، ولكن لا برامج ولا خطط وطنية لذلك حتى الآن، ولا شيء عند أصحاب دور العرض ومحبي السينما غير الذكريات عن أيام جميلة وآمال بعودتها.

وكانت قد شهدت بغداد في وقت سابق مهرجانا للسينما المتنقلة للعام الثاني على التوالي عرضت فيها أفلام عراقية أنجزت بعد حرب عام ٢٠٠٣.

وبرغم المخاوف الأمنية من الخروج ليلا حضر عشرات العراقيين العرض الذي تنقل بين مناطق عدة من بغداد منها مدينة الصدر.

ويفتخر القائمون على المهرجان بآلة عرض حديثة استقدموها من ألمانيا وشاشة عرض متطورة شحنت من الولايات المتحدة الأميركية، أما الأفلام فعراقية صرفة.

والقصد من المهرجان – حسب القائمين عليه–هو تحد لضعف البنية التحتية السينمائية، إذ تقتصر دور العرض في العاصمة مثلا على عدد قليل منها أغلبها مقفل وهو ما يحز في نفس السينمائيين العراقيين .

وقصد القائمون على المهرجان عرض الأفلام في ساحة التحرير التي تستضيف مئات المتظاهرين كل يوم جمعة منذ اشهر .وأصبحت الساحة "منبرا للمواطن العراقي يعبر فيه عن مطالبه وأحلامه" بحسب عطية الدراجي مدير مهرجان السينما المتنقلة.

ويشير الجمهور الذي حضر العروض السينمائية بحجم المخاوف من الخروج ليلا في بغداد، الى ان أغلبية من حضروا كانوا من الشباب أو الرجال مع استثناءات قليلة منها آفا التي جاءت مع ابنتها ذات الأربع سنوات.

بالمقابل، أنفق العراقي احد رجال الأعمال ٨٠٠ ألف دولار لتحقيق حلمه بإنعاش دور السينما في العراق بعد عقود من الدكتاتورية التي قيدتها والخوف من التفجيرات الذي أبعد الناس عنها وأبقاهم في منازلهم.

وافتتح في وقت سابق دار سينما صغيرة في ناد اجتماعي في بغداد ليكون بداية خطة طموحة لبناء ٣٠ دارا للسينما في بغداد في غضون أربع سنوات؛ مما يمنح العراقيين فرصة مشاهدة أفلام تعرض للمرة الأولى كما هو الحال في باقي دول العالم.

وإمكانية مشاهدة أفلام جديدة ستفتح الباب على مصراعيه أمام العراقيين ليتصلوا من جديد – دون أي قيود – بثقافة السينما العالمية التي حرموا منها.

وسيبدأ رجل الاعمال قريبا العمل لافتتاح داري سينما جديدتين في النادي الاجتماعي الكبير الآخر في بغداد وهو نادي العلوية ، ويأمل أن يبني دورا أخرى في مراكز تجارية. ويأمل أن يصبح موزعا حصريا لأحدث أفلام كبريات شركات الإنتاج مثل وورنر برادرس وفوكس القرن العشرين وغيرها.

ويعتزم أيضا عرض أفلام مثل الجزء الثالث من سلسلة أفلام "قصة لعبة" لجذب العائلات والأطفال العراقيين وهم شريحة لم يهتم بها كثيرون منذ عقود.

وقال رئيس هيئة السينما والمسرح الحكومية في العراق شفيق المهدي "إنه من غير المنطقي ألا تكون في العراق سينما للأطفال منذ عام ١٩٩١". وأضاف أن افتتاح دور سينما بالنسبة له يشبه افتتاح جامعة أو كلية. وقال إن هناك ٢,٥ مليون طفل في بغداد وحده.

وصرح المهدي بأن الحكومة العراقية تعتزم تشييد ثلاث دور سينما داخل المسرح الوطني العراقي وستكون إحداها عبارة عن صالة تضم ٤٠ مقعدا للأطفال ومزودة بجهاز عرض ثلاثي الأبعاد.

وفتح المسرح الوطني أبوابه من جديد عام ٢٠٠٩. وبدأت مجموعة من الفنانين الكوميديين الذين يقدمون عروضا على المسرح ، تقديم عروضهم في أكتوبر من ذلك العام في المسرح الوطني.

أنفق العراقي احد رجال الأعمال ٨٠٠ ألف دولار لتحقيق حلمه بإنعاش دور السينما في العراق بعد عقود من الدكتاتورية التي قيدتها والخوف من التفجيرات الذي أبعد الناس عنها

برغم المخاوف الأمنية من الخروج ليلا حضر عشرات العراقيين العرض الذي تنقل بين مناطق عدة من بغداد منها مدينة الصدر

تجربة العراقيين مع السينما بدأت منذ خمسينيات القرن الماضي

يعود تاريخ السينما في العراق إلى عام ١٩٥٩ حيث أنشأت أول مؤسسة حكومية للسينما هي مصلحة السينما والمسرح ، لكنها لم تباشر الإنتاج إلا في النصف الثاني من الستينيات ولحين ظهور أفلام المؤسسة استمرت وتيرة الإنتاج السينمائي الخاص، علما ان المصلحة قد اشترت المعدات والاجهزة الخاصة التي كانت لدائرة الاستعلامات الأميركية في بغداد والتي كانت تقوم بإنتاج الأفلام الإخبارية القصيرة قبل قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .وكانت الأفلام التي قدمتها مصلحة السينما والمسرح أفلاما وثائقية ذات صلة بأحداث الثورة في تلك الفترة وأستمر الحال الى عام ١٩٦٦.

وخلال الفترة التي سبقت عام ١٩٦٦، قدم القطاع الخاص من شركات وأفراد عدة أفلاما لا تخرج طبيعتها عن الافلام المقلدة للأفلام المصرية باستثناء فيلم (قطار الساعة ٧) المعروض في عام ١٩٦١ لمخرجه حكمت لبيب أواديس الذي يعتبر واحدا من المخرجين المتميزين حيث قدم هذا المخرج أفلاما ذات قيمة فنية فضلا عن فيلم قطار الساعة ٧ ، كفيلم(أوراق الخريف) ١٩٦٣ بالإضافة الى فيلم عراقي لبناني مشترك ثم غادر الى اميركا حيث يعمل هناك، وقصة فيلم قطار الساعة ٧ تتحدث عن عامل قطارات عليه أن يعود الى عمله بعد ساعة لتحويل مسار القطار قبل حدوث كارثة، وخلال هذه الساعة تحدث له مفارقات كثيرة.

وقبل هذا الفيلم عرض فيلم (حوبة المظلوم) أو (القرار الأخير) من إخراج صفاء محمد علي وإنتاج ابراهيم الشيخلي وتمثيل جمعة الشبلي وسلمى عبد الاحد وعرض الفيلم في عام ١٩٦١ وفيلم (أنا العراق) للمخرج محمد منير آل ياسين من انتاج شركة افلام الشرق السينمائية تمثيل سعدي يونس وانتصار سامي وعرض الفيلم عام ١٩٦١ وفيلم من (اجل الوطن) لمخرجه فوزي الجنابي وإنتاج محمود شكري وبطولته مع سعاد هيثم وفيلم (سلطانة) للمخرج صفاء محمد علي وإنتاج علي السراجي وتمثيل علي الاغواتي ولواحظ ، وفيلم (قطار الساعة ٧)لحكمت لبيب الذي عرض في عام ١٩٦٢ وفيلم (مشروع زواج) للمخرج كاميران حسني وإنتاج شركة سمير اميس وبطولة فخري الزبيدي والهام حسين والذي عرض عام ١٩٦٢ ، وفيلم(انعيمة) لمخرجه عبد الجبار ولي وإنتاج شركة سومر وتمثيل سلمان الجوهر وخولة عبد الرحمن والذي عرض عام ١٩٦٢ ، وفيلم (أبو هيلة) لمخرجه محمد شكري وإنتاج شركة سومر وتمثيل يوسف العاني وزينب وعرض عام ١٩٦٢ ،وفيلم (فجر الحرية) الذي أخرجه محمد منير عبد الحكيم وأنتجته شركة أفلام الزبيدي ومثله عارف الزبيدي وعائدة احمد والذي عرض عام ١٩٦٢، وعرض أول فيلم عراقي ملون وهو فيلم (نبوخذ نصر) لمخرجه كامل العزاوي من انتاج شركة شهرزاد وتمثيل سامي عبد الحميد ونجلاء سامي حيث بدأ الإنتاج لهذا الفيلم عام ١٩٥٧ وبلغت تكاليفه أكثر من أربعين ألف دينار وتم انجازه عام ١٩٦١ ولم يسترد تكاليف الانتاج عند عرضه وتوزيعه سنة ١٩٦٢، وأنتج فيلم (اسعد الايام) في ١٩٦٣ وهو من إخراج برهان الدين جاسم ومن إنتاج أفلام الزبيدي ومثله عارف الزبيدي ومديحة وجدي، وعرض فيلم (يد القدر) عام ١٩٦٣ وهو من إخراج كامل العبلي ومن إنتاج أفلام العربي وبطولة عدنان الإمام وسلمى عبد الاحد وعرض فيلم (العودة للريف) عام ١٩٦٣ وأخرجه فالح الزيدي وهو من إنتاجه أيضا وبطولة رفعت إبراهيم وسليمة خضير وعرض فيلم (بصرة ساعة ١١)الذي أخرجه وليم سايمون إنتاج أفلام الجمهورية، وبطولة حسين الزبيدي وأحلام وهبي وعرض الفيلم عام ١٩٦٣. وفي العام نفسه عرض فيلم (أوراق الخريف) لمخرجه حكمت لبيب، إنتاج ستوديو هاماز تمثيل سليم البصري وموربن، وبعد هذا الفيلم من الأفلام التي لاقت نجاحا جماهيريا مرموقا في مسيرة السينما العراقية كونه يحمل موضوعا اجتماعيا بإخراج متقن وهذا هو الفيلم الثاني لمخرجه بعد فيلم (قطار الساعة ٧) وقصة الفيلم مأخوذة عن مسرحية بعنوان (حكم القدر) للكاتب الارمني أواديس هاردينال، اشترك في كتابة القصة السينمائية والحوار الكاتب العراقي أدمون صبري وصوره ماجد كامل، وكانت أجواء الفيلم قريبة من أجواء الافلام المصرية خصوصاً أفلام المخرج حسن الإمام حيث تلعب الصدفة والقدر دوراً في تحديد مصائر أبطال الفيلم، وقصة الفيلم تتحدث عن فؤاد (سليم البصري) الذي يعمل تاجراً ناجحا ويعيش حياة عائلية سعيدة مع زوجته إلا ان الشكوك تراوده بسبب صديقه الذي يحاول إغواء زوجته فيطلقها ويذهب للعمل في مدينة البصرة لكنه يفشل في عمله نتيجة لإدمانه الكحول لذا يترك البصرة قاصداً الهند للعمل هناك وتمر الزوجة بظروف قاهرة وتحاول قتل صديق زوجها ويعيش الابن حياة قاسية، بينما أمه في السجن وعندما تغادر السجن لتعمل في اكثر من عمل من اجل لقمة العيش في المقابل يعود زوجها من الهند لتقوده الصدفة إلى ملاقاة ابنه ومن ثم ملاقاة زوجته ليتعرف على الحقيقة ولكن بعد فوات الأوان حيث تموت الزوجة بين يديه نتيجة مرض الم بها بسبب السجن والظروف الصعبة.